المحاضرة الرابعة

نظريات الرواية

ثانيا : نظرية "جورج لوكاتش" لتفسير نشأة الرواية

قام "جورج لوكاتش" بإضافات أساسية على نظرية "هيجل" وقد اعتمد على النظرية المادية في التحليل الاجتماعي للطبقات عند "ماركس".

أخذ الأطروحة العامة ل"هيجل" وقدم المبررات من مفهوم صراع الطبقات الماركسي كما استفاد من مقولة "هيجل" (اغتراب العقل الكلي عن ذاته) بعد أن أضاف اليه (اغتراب الانسان عن انتاجه) لينتهي الى القول أن الرواية"ملحمة بورجوازية" ظهرت في أعقاب النهضة الأوروبية أي بعد الثورة الصناعية التي جعلت من الطبقة البورجوازية الطبقة السائدة و المتحكمة في المجتمعات الأوروبية.

اذن أعطى الرواية صفة الملحمة ولكن في عصر جديد وبمواصفات جديدة ففيما للعصر القديم ملاحمه فللعصر الجديد ملاحمه المتمثلة في رواياته ،فالملحمة في عصر البورجوازية تحولت الى رواية لان الشعر لا يستطيع أن يواكب سرعة التطورات و الافرازات الناتجة عن تحكم هذه الطبقة في المجتمع وكذا السرعة الي تسير بها ،فالنثر هو الأطوع والقادر والملائم للتعبير عن هذه الحياة المتسمة بالسرعة و التعقيد .

ماذا يقصد "لوكاتش" بأن الرواية ملحمة بورجوازية؟

يشرح "لوكاتش" ويقول : أن البورجوازية الصاعدة فرضت قيمها على المجتمع وحملت معها تصورا عن العالم يختلف التصور القديم عند اليونان والرومان ،فصورة العالم في ذهن البورجوازية تتألف من قوى مادية ملموسة وليس من أرواح وآلهة وما يتقرر على الأرض يقرره البشر فقط دون تدخل القوة الغيبية ،والسلطة التي كانت تنتج لسد حاجة محلية صارت قوة عظيمة تجتاز الحدود وتفرض سلطتها ، ان القوة لم تعد خفية بل أصبحت أمامنا،فالعالم في نظر البورجوازي يصنع العمل و لا يكتفي بالتأملات و الأدعية، لا ينتظر البورجوازي معجزة بل هو من يصنعها بعيدا عن الآلهة.

التصور القديم من صنع طبقة عليا في المجتمع (النبلاء)أما التصور الحديث فانه من صنع الطبقة البورجوازية، وكما تجسد التصور القديم في الملحمة تجسد التصور الحديث في الرواية وهذا أهم ما يميز الرواية عن الملحمة

فالقضية ليست في هل يكون السرد نثرا ام شعرا بقدر ما هي مرتبطة بالتصور فهناك ملاحم شعرية حديثة مثل ملحمة "الفردوس المفقود".

فالمسألة الاساسية عند"لوكاتش" هي مسألة التصور الذهني للعالم ،مسألة ترتيب العالم ترتيبا ماديا، وبما أن الترتيب المادي للعالم هو السائد فان البورجوازي يواجه العالم وحيدا من دون آلهة تقف ضده او بجانبه، فهو يرى أنه وحيد في مواجهة العالم ولكنه يرى من ناحية أخرى أن العالم لا يستغني عنه وسوف ينهار اذا تخلى عنه ورفع يده عن العمل فيه و هنا

أصبح البورجوازي كثير الثقة بنفسه، وتجلت الفردية بأبعد مظاهرها، وفرض الفرد البورجوازي لأنه هو الذي رتب العالم ماديا قيمه على المجتمع بكل طبقاته و بكل فيئاته.

اذن فان الباحث المجري "لوكاتش" انطلق من تصورات أستاذه"هيجل" ولكن ليس من منطلق مثالي بل اعتمد في تصوراته على المادية الجدليه الماركسية في فهم المجتمع الرأسمالي وتفسير تناقضاته.

وقد ألح على غرار "هيجل" علي القرابة الموجودة بين الملحمة والرواية واعتبر الرواية ملحمة بورجوازية تراجيدية يتصارع فيها البطل مع الواقع بأشكال مختلفة نتج عنها ما يسمى بالبطل الاشكالي الذي يتردد بين الذات و الواقع من أجل تثبيت القيم الأصيلة التي يؤمن بها .

والبديل الذي يقترحه "لوكاتش" موجود في روايات "تولستوي" الروسي الذي يقدم بطلا ملحميا على غرار الملحمة اليونانية ف 'تولستوي" حسب"لوكاتش" هو المؤهل لخلق هذا الشكل من الرواية لانه تجاوز ذاته نحو الملحمة ،ان "تولستوي" عظيم وملحمي بصورة واقعية وهو يسعى نحو تمثيل الأديب بين البشر.

و يعيد "لوكاتش" بدايات الرواية الى ظهور المجتمع الرأسمالي حيث أثبت الروائي نضاله ضد عبودية الانسان في المجتمع إلا قطاعي وتدهور الانسان في المجتمع الجديد واحتفظت الرواية بالحقيقة الاجتماعية.

اذن يؤكد طرح "لوكاتش" على أن الرواية الغربية أصلها بورجوازي ويعني هذا أن هذه الطبقة هي التي اتخذت الرواية أداة تعبيرية في صراعها مع الطبقات المضادة و لا سيما طبقة الاقطاع ورجال الكنيسة وطبقة البروليتاريا ومن ثم فالرواية كانت تتغنى بالتاريخ و تمجد مجموعة من القيم كالحرية والملكية الفردية والبطولة الفردية.

وقد اثبت "لوكاتش" جدلية الرواية عندما اعتبرها شكلا توفيقيا يجمع بين خصائص الملحمة والتراجيديا ،أي اذ كانت الملحمة تعبر عن الوحدة الكلية بين الذات و الموضوع فان الرواية تتميز بطابع الوحدة والقطيعة لأنها تجمع بين ما هو ملحمي و ما هو تراجيدي ،ومن ثم تصبح الرواية شكلا ذا طابع جدلي قائم على الصراع والتغيير والدينامية والتجاوز.

وفي اطار مقاربة تاريخية جدلية حصر "لوكاتش" في كتابه "نظرية الرواية" ثلاثة أنماط روائية حسب بطلها الاشكالي الذي يتردد بين الذات والواقع وهي:

1ـ رواية المثالية المجردة : بطلها مثالي ساذج حيث يبدو فيها الواقع أكبر من الذات ويمثلها "سرفانتس" في رواية "دون كيشوت".

2ـ الرواية الرومانسية بطلها رومانسي ينطوي على ذاته ويتجاوز الواقع المتردي فا لذات تبدو اكبر من الواقع على مستوى المعرفة و المعايشة و خير من يمثل هذه المرحلة "فلوبير" في رواية "التربية العاطفية".

3ـ الرواية التعليمية بطلها متصالح مع الواقع ومتكيف مع الموضوع وهنا تساوي الذات الواقع وتمثلها رواية"سنوات تعلم"فلهر مايستر" ل"جوته".

ثالثا : نظرية "جولدمان"

كيف فسر "لوسيان جولدمان" نشأة الرواية ؟

اعتبر "جولدمان" الرواية عبارة عن قصة بحث عن قيم أصيلة في عالم منحط يعيش فيه فرد يقوم فيه بدور منحط ،و القيم الأصيلة اصبحت عند"جولدمان" قيم الاستعمال التي تحترم الشيء لذاته في مقابل القيم المنحطة، أي قيم التبادل التي لا تقدم الشيء الا بما يساويه من المال وهذه القيم هي التي يقوم عليها المجتمع الرأسمالي حيث قانون العرض والطلب وحيث يقوم المال بالدور الوسيط بين الانسان والسلع مما يؤدي به الي الاغتراب والاستلاب.

وقد انتهى "جولدمان" الى أن الرواية في بداية القرن 19 كانت تعبر عن الرأسمالية الفردية ، وفي بداية القرن 20 اصبحت رواية تيار وعي تجسد رأسمالية الشركات أما الرواية الجديدة مع "نتالي ساروت" و "آلان روب جرييه" و "مشيل بوتور" فأصبحت تعبر عن المجتمع التقني الآلي.

اذن أخذ "جولدمان" با لتقسيم الماركسي لصيرورة النظام الرأسمالي من الليبرالية الى الاحتكارية فالامبريالية وفي مقابل هذا التقسيم يقدم نماذج سردية معبرة عن لحظات هذه الصيرورة فيكون أدب "بلزاك" تعبيرا عن الرأسمالية في طورها الليبرالي ،ويكون أدب "ناتالي ساروت" تعبيراعن طورها الاحتكاري و يكون أدب "آلان روب غرييه" تعبيرا عن طورها الامبريالي.

تحليل "جولدمان" اذن يستثمر نظرية "لوكاتش" التي ترجع التحول من نمط التعبير الملحمي الى نمط التعبير الروائي الى التغيير الذي طرأ على "الرؤية الى العالم" فيشير الى ضمور الرؤية الدينية في المجتمع الحداثي وانتشار الرؤية المادية.

وفي تنظير "لوكاتش" وجولدمان" نجد هيمنة النقد المذهبي الماركسي على قراءاتهما ومقارباتهما لأنهما انطلقا من الأصول الاجتماعية في تفسير نشأة الرواية .